بروكلين هابتس:غرفة صغيرة للذاكرة.

                                                                                              بقلم ظبية خميس

لو أن للحرية بيت,أو زقاق,أو حى وعنوان لندلف إليها فى بحثنا المحموم عنها.ميرال الطحاوى حاولت أن تجد للحرية,والنسيان,والبدايات الجديدة بعيدا عن القاهرة ومصر عنوانا جديدا فى روايتها بروكلين هايتس.

حزمت حقائبها,وأخذت إبنها أحمد ومضت.خارجة من أجواء الصحراء,والريف,والبدو ورواياتها السابقة الباذنجاة الزرقاء ونقرات الظباء إلى رواية تتحدث عن مدينة حديثة,بل عن أم المدن الحديثة نيو يورك.

  فى سردها بوح ووصف ومقارنات وعذابات.وفى روايتها تداخل ما بين ما يراه بصرها اليوم وما رأته ذاكرتها بالأمس.تثبت كاميرا لإلتقاط أحاسيسها بالمكان والبشر ومشاعرها وتناقضاتها.ترصد تجربة الإبن وردود أفعاله وتقارنها بردود فعلها.تتعلم من طفلها الأسهل إنسياقا للأمركة مفاهيم ومصطلحات وأسماء أطعمة لا تعرف كيف ومتى أدركها وإلتصق بها بكل تلك السرعة.

تجوب الشوارع والحدائق والمقاهى والحانات..تريد أن تكون جزءا من عالم الكتاب والمبدعين هناك..وتحاول كسر حاجز اللغة الأمريكية المتقنة وهى التى ذهبت إلى هنالك لتدريس اللغة العربية التى تعشقها.

تقارن طفولتها الريفية-البدوية بطفولة إبنها النيويو ركية فيبزغ من الذاكرة ألبوم شخصيات أحبتها وحيرتها من الأب إلى الأم والجدة ومن عاشت معهم وبينهم.تهرب من الفشل العاطفى والزواج الناقص والحب الذى لم تجده بطلة روايتها لعل مكانا جديدا فى هذا العالم يغسل عقد الخيانة الزوجية والوحدة والمعاناة التى مرت بها هذه البطلة.

البحث عن المستقبل فى مكان آخر,ولكن حتى المستقبل تكبله أحداث وذاكرة الأمس كما قد ذكر كازنتزاكس وكافافى حين خلص إلى أنه كما دمرت نفسك فى ذلك المكان فأنت حيث ما تذهب دمار.وأن الرحيل من أثيكا يقود فى آخر الأمر إلى أثيكا.وكما عاش سهيل إدريس تفاصيل روايته الحى اللاتينى فى باريس,والطيب صالح موسم الرحلة إلى الشمال فى لندن ومع فارق الحقبة الزمنية تعيش هذه المرة ميرال الروائية نيو يورك  لتضيف إلى رواية العلاقة بين الشرق والغرب فى زمن جديد إختلفت فيه التفاصيل ونوع العلاقة بين المكانين.

فى الوصف السينمائى للشخصيات التى تلتقيها هند فى بروكلين هايتس,كل شخصية تقابلها تحيلها إلى ذاكرة قديمة كما هو حالها فى وصفها لشخصية الجوز إميليا التى صادقتها فهى تذكرها بالجدة زينب التى كانت تعمل فى بيت أبيها لسبب واحد هو رائحة العجائز.تصف الشخصيات بالتفصيل وبحميمية تتيح للروائية فيها الإحتفاظ بمسافة التأمل غير المحايدة.ومابين الحياة المقترة التى تحياها هند فى نيويورك وجمع طوابع الطعام والبقالة تذهب ذاكرتها إلى رغد حياتها فى مصر وبيت أبيها والخدم والحشم والحياة الممتلئة بالطعام والتفاصيل الثرية الصغيرة.

تسهب ميرال فى وصف شخصية الأب,ولا تمل العودة مرارا وتكرارا إلى تفاصيل شخصيته وحياته وأثره على من حوله.وبشكل غير مباشر يبدو الأب رغم كل الصفات التى يتسم بها من اللامبالاة والرعونة وامزاجية وكأنه الرجل النموذج والحبيب الحقيقى الذى لم تعثر عليه تماما فى من أحبت من رجال.الرجل المحب للهو والعبث والحياة والشراب والمتعة والنساء.الرجل الذى يخون أمها التى تنتحب بعد كل نزوة من نزواته.وهو رجل يشبه أيضا الزوج الذى تركته هند وراءها فى القاهرة ولكن أكثر فخامة فى تفاصيله المدللة.

فى وحدتها الباحثة تعثر على سعيد المسيحى فى نيو يورك الذى يأخذها إلى الكنيسة وأجواءها فيحيلها إلى أصدقاء وجيران مسيحيين فى طفولتها.غير أنها لا تبحث عن الرب,إنها تبحث عن الحب.

تقول له:

-تعرف إننى أريد أن أشعر هذه الليلة بأننى حرة,حرة فقط من كل توقعاتى عن نفسى ..حرة فى الخلاص على طريقتى,حرة فى روحى...عارف ماذا يعنى حرة فى روحى؟؟

فهل سيعرف سعيد مالذى تعنيه تلك الحرية التى تتوق لها هند؟سواق الليموزين المتدين المسيحى ماذا يستطيع أن يقدم إلى المرأة التى تحلم بأن تكون كاتبة وحرة فى روحها.

عبر جارها الستينى شارلى ودروس رقص التانغو تعيد هند تذكر تفاصيل جسدها,مخاوفها,خيباتها,تفاصيل خيانة زوجها لها,وخوفها من أى حميمية جسدية محتملة.الرقص يذكرها بأن لها جسد.جسد معذب بمخاوفه والآم ذاكرته.ولا تزيدها تجربتها مع الأفغانى الخائن لبلده إلا مزيدا من الألم والشك فى أنوثتها.

فى بروكلين هايتس ,تسرد ميرال الطحاوى رواية تتداخل فيها الذاكرة مع المرصود وتفاصيل حيوات لأناس ومهاجرين مهمشين فى نيو يورك مع بشر كانوا يعنون لها الكثير وخلقوا لها تفاصيل حياتها منذ الطفولة التى تزورها فى أغلب الأحيان إلى البحث عن شبح الحبيب الأول الذى مات,أو أبيها,أو زوجها الذى هجرها وهجرته.البشر يستدعون بشرا آخرين فيها,والأماكن والشوارع تحيلها غالبا إلى قريتها التى تربت فيها.وهى رواية فيها طزاجة اللقاء الأول مع تفاصيل الحياة الأمريكية ولكن الرواية,بالتأكيد ليست عن ذلك.

   إنها رواية تشظى,وبحث عن ذات وأنوثة مجروحة.إنها هجرة ليست من المكان وتعجز أن تكون عن النفس والذات الأولى.الآمها الآم إمرأة شرقية بتفاصيل حميمة وحنين دائم للحضن الأول وبحث مؤلم عن الإحتواء.عن الرجل الذى لا تجده,والأنثى التى تحاول التصالح معها وعن الإغتراب بين الغرباء.

8-8-2010 القاهرة-مصر

المرجع-

ميرال الطحاوى,بروكلين هايتس(القاهرة:دار ميريت,2010).